

د. عبدالرحمن البر يقدم: ورد الفرج من القرآن العظيم



11 مايو 2019

مر بنا في حياتنا شدائد وأزمات، هي من طبيعة الابتلاء الذي جعله الله سمة هذه الحياة.

ترج ابن المبارك عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)، قَالَ: "لَا أَعْلَمُ خَلِيقَةً يُكَادِي مِنْ الْأَمْرِ مَا يُكَادِي هَذَا الْإِنْسَانَ".

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ (أخي الحسن) أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ يَوْمًا، فَقَالَ: "يُكَادِي مَصَائِقَ الدُّنْيَا، وَشَدَائِدَ الْآخِرَةِ".

وبحاج الإنسان في مواجهة هذه الشدائد إلى قوة روحية واستمداد للعون من الله رب العالمين، والقرآن العظيم يضع أيدي المتدبرين على وسائل تحصيل هذه القوة الروحية، وقد استخرج منه السلف ما يمكن أن نسميه (وَرْدُ الْفَرَجِ) الذي ينبغي أن يحرص عليه الموفقون.

ممن عجب جعفر الصادق؟

عَنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَجِبْتُ لِمَنْ يُلِي بِخَمْسٍ كَيْفَ يَغْفُلُ عَنْ خَمْسٍ:

- (1) عَجِبْتُ لِمَنْ يُلِي بِالضَّرِّ كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ: (رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: (فَاسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا يَبِي مِنْ ضُرِّهِ).
- (2) وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُلِي بِالْعَمِّ كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: (فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَتَجَوَّيْنَا مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ).
- (3) وَعَجِبْتُ لِمَنْ خَافَ سَيِّئًا (مِنَ السُّوءِ) كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ: (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: (فَانقَلِبُوا يُنْعَمُونَ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلْ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ).
- (4) وَعَجِبْتُ لِمَنْ كُوِيَدَ (أَي خَافَ أَنْ يُمَكَّرَ بِهِ) فِي أَمْرٍ كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ: (وَأَقِصُّ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: (فَوَقَاةَ اللَّهِ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا).
- (5) وَعَجِبْتُ لِمَنْ أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً خَافَ رَوَالَهَا كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ: (وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا سَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: (فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ).

وكذلك عجب الحسن البصري

نال القاضي أبو علي التنوخي في أول كتاب (الفرج بعد الشدة):

يروي عن الحسن البصري (رحمه الله) أنه قال: "عَجَبًا لِمَكْرُوبٍ عَقَلَ عَنْ خَمْسٍ وَقَدْ عَرَفَ لِمَنْ قَالَهُنَّ:

- (1) قوله تعالى (وَلَتَبْلُوكُمْ بِسَيِّئَةٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَتَقْصُ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَتَسِّرُ الطَّيْرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ. أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ).
- (2) وقوله تعالى (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانقَلِبُوا يُنْعَمُونَ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلْ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ)

(3) وقوله تعالى (وَأَقْوَصُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ. فَوَقَاهُ اللَّهُ سَبْتَاتٍ مَّا مَكَّرُوا)

(4) وقوله تعالى (وَدَا التَّوْنِ إِذْ دَهَبَ مُغَاصِبًا قَطَنًا أَنْ لَنْ تُفَدَّرَ عَلَيْهِ فِتَادَى فِي الظَّلَمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَنَّبْنَاهُ مِنْ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ).

(5) وقوله تعالى (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَفْئِدَانَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَآتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

وروي عن الحسن البصري أيضا أنه قال: "مَنْ لَزِمَ قِرَاءَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي الشَّدَائِدِ كَشَفَهَا اللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَعَدَ، وَحَكَمَ فِيهِنَّ بِمَا جَعَلَهُ لِمَنْ قَالَهُنَّ، وَحَكْمُهُ لَا يَبْطُلُ، وَوَعْدُهُ لَا يُخْلَفُ".

وفي رسالة ابن الجوزي عن الحسن البصري أنه قرأ: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرُسُونَ)، فقال: "بَا عَجَبًا لِمَنْ يَخَافُ مَلِكًا أَوْ يَتَّقِي طَالِمًا بَعْدَ إِيمَانِهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ! أَمَا وَاللَّهِ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ إِذَا ابْتُلُوا صَبَرُوا لِأَمْرِ رَبِّهِمْ؛ لَقَرَّحَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَرْبَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ جَزَعُوا مِنَ الشَّيْفِ، فَوُكِّلُوا إِلَى الْخَوْفِ".

وكذلك عجب الشقيري

ل الشيخ مُحَمَّد الشقيري: "عَجِبْتُ لِمَنْ تَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ أُمُورُهُ كَيْفَ يُذْهِلُ عَنْ تَقْوَى اللَّهِ وَهُوَ سُخَّاتُهُ يَقُولُ: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا).

عَجِبْتُ لِمَنْ يُلَبِّي بِصِيقِ الرِّزْقِ وَالْهَمِّ وَالْكَرْبِ كَيْفَ يُذْهِلُ عَنْ أَمْتِيَالِ أَوْامِرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ تَوَاهِيهِ، وَاللَّهُ سُخَّاتُهُ يَقُولُ: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ).

عَجِبْتُ لِمَنْ يُلَبِّي بِالذُّنُوبِ كَيْفَ يُذْهِلُ عَنْ الْاسْتِغْفَارِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَبُمُدِّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَتَّبِعُ لَكُمْ حَبَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا).

عَجِبْتُ لِمَنْ اخْتَجَّ إِلَى أَيِّ أَمْرٍ دِينِي أَوْ دُنْيَوِي كَيْفَ يُذْهِلُ عَنْ الدُّعَاءِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ).

استكمالاً لما عجب منه أهل العلم من غفلة البعض عن آيات الكتاب العزيز نذكر موضعاً آخر لعجب الحسن البصري رحمه الله.

وفي محاسن التأويل للقاسمي: (تفسير القاسمي) – الكشف للزمخشري

عن الحسن: عجبت ممن خفَّ كيف خفَّ، وقد سمع قوله تعالى (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرُسُونَ).

يعنى (خفَّ) طاش جزعاً وقلة صبر، ولم يكن رزبناً مثل أولي الصبر.

هلموا أيها الأحبة لتوديع الخوف والتماس الفرح من لدن غفور رحيم، وليكن لنا ورد من الآيات المذكورة لا يقل عن عشر مرات يوماً على النحو التالي:

بِإِتِّ مَسِيِي الصُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

يَأْقُوْصُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ

مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَفْئِدَانَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.